

العزة.. قوة وصلابة من الله تعالى



مفهوم (العزّة) من المفاهيم القرآنية التي اهتم بها الإسلام في القرآن، فلقد جعلها الله تعالى لنفسه (فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) (فاطر/ 10). إن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن العزّة لذاته المقدّسة، كما يتحدث عن العزّة لرسوله وللمؤمنين مما يوحي بأنّ هذا المفهوم أصيلٌ في معنى القيمة في أية ذات حتى الذات الإلهية التي تختزن العزّة كلّها من حيث أنّها تختزن القوة كلّها، لأنّ قضية أن تكون عزيزاً هي قضية أن لا ينفذ الضعف إليك، لأنّ الذل إلى الإنسان من خلال الضعف الذي يستغلّه القوي ليسقط ذاته أو يخطئ موقعه. أمّا عندما يكون الوجود كلّها قوّة، لا ضعف فيه ولو بأصغر نسبة، فإنّ من الطبيعي أن تكون العزّة له. فلقد تحدّث الله عن نفسه بقوله تعالى: (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (البقرة/ 165)، لأنّ كلّ قووي يستمد قوته منه، ومن خلال ذلك فإنّ كلّ عزيز يستمدّ عزّته منه، من خلال هذه القوة الموهوبة له. في قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ هُمْ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران/ 26)، فالعزة منه والذلة منه لأنّ القوة منه والضعف منه، ولأنّ الخالق لذلك كلّها، وعلى ضوء هذا أراد الله لرسوله أن يأخذ بالعزة فلا يضعف أمام أي مخلوق، وأما أي موقع، ليبقى عزيزاً قوياً أمام الإغراء فلا يذل نفسه من أجل إغراء يجتذبه فهو أكبر من الشهوة ومن اللذّة، وبذلك يكون أقوى من الإغراء، وهذا ما تمثّلناه في كلمة الرسول (ص) عندما جاءه عمه "أبو طالب" يعرض عليه ما عرضته فريش من الملك إن شاء ملكاً، ومن المال إن شاء مالا، ومن الجاه إن شاء جاهاً، فقال له الكلمة الخالدة "يا عم والله لو وضعا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك"، وهكذا رأينا يصد أمام التخويف فقد اندفع إليه كلّ أولئك العتاة من أهل (الطائف) هذا يشتمه وهذا يرميه بحجر، وذاك يدفعه حتى أخرجوه من الطائف واستند إلى شجرة هناك وقال كلمته الخالدة التي يخاطب الله فيها: "إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي". ومن هنا، كان رسول الله (ص) القوي أمام التخويف، الذي لا يجد في نفسه أي ضعف لأنّ نفسه اختزنت القوة من الله سبحانه وتعالى، فلم يبقَ فيها شيء من الضعف، وانعكس ذلك عندما (أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة/ 40). وهكذا أراد الله للمؤمنين أن يكونوا الأغزاء (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّهِ الْمُنَاقِبُ) (المنافقون/ 8). لأنّ الله أراد للمؤمنين أن يكونوا أقوياء: أمام الإغراء فلا يسقطون أمام لذة تعرض عليهم، أو شهوة تجتذبهم، أو مال يمكن أن يسقط إرادتهم، لا يسقطون أمام التخويف أيضاً، وهذا ما حدّثنا الله عنه في قوله تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ يَا نَسِيبُ إِنَّ نَسِيبَ قَوْمِكَ قَدِ اجْمَعُوا لَكُمْ) (آل عمران/ 173)، وسيهجمون عليكم، وسيقتلونكم وسيسقطونكم وسيصدرون كلّ شيء فيكم (فَزَادَهُمْ إِيمَانًا) لأنهم عندما حوّ فهم الناس بقوة الناس انفتحت عليهم قوة الله كمثل الشمس وبدأوا يقارنون بين قوة الناس المتناثرة في إنسان يملك بعض القوة ومعها

الكثير من الضعف، ويتطلعون إلى □ القوي الذي له القوة جميعاً، ويشعرون بأن هؤلاء الأقوياء استمدوا القوة من □ وهو القادر على أن يسلبهم قوتهم لأزبه الذي أعطاهم الحياة وهو القادر على أن يسلبهم الحياة، كما قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ تَكُونُوا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ وَمَا ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ عَلاَمَةً لِّمَن يَشَاءُ * إِنَّ هُنَا لَهُمْ يَوْمَ يَعَزِلُوكُمْ عُزُلَاتٍ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ حِسَابُ عَزِيلِكُمْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (فاطر/ 17-15). إن هناك فرقاً بين أن (تخاف) وبين أن (تحذر) فالخوف يسقطك والحذر يفتح عينيك على ما في الدرب وعلى ما حولك ومن حولك. لذلك أن تكون مؤمناً يساوي أن تكون عزيزاً. ختاماً، فكونوا الأعضاء في عقولكم، حتى يكون عقلكم عقلاً عزيزاً لا يسقط، وكونوا الأعضاء في قلوبكم، حتى تكون قلوبكم عزيزة لا تستعبد، وكونوا الأعضاء في واقعكم حتى يكون واقعكم حياً صلباً لا مجال فيه للضعف، فإذا جاءكم الضعف فحاولوا أن تستعيدوا با □ حتى تستمدوا القوة منه في كل مواقفكم وفي كل مواقعكم، فهو الذي يعطيكم العزّة والغنى والرفعة ولن يفعل ذلك غيره، كما قال الإمام زين العابدين (ع): "فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العزّ من غيرك فذلّوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتّضعوا". وهكذا جاء في الحديث: "من أراد عزّاً بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذلّ معصية □ إلى عزّ طاعته".